حائز على موافقة الأزهر الشريف
مجمع البحوث الاسلامية
الإنبـــاء عن عصمة الأنبياء
فضيلة الشريف
وائل محمد رمضان أبو عبية اليماني الحسني
الشيرب / حبيب الكل

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
البحوث والتأليف والترجمة

نموذج رقم ٢١٣

رقم ٢١٤٥ كل

طبع وإهل محمد رمضان أبو عبية اليماني الحنفي (حبيب الكل)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فبناءً على الطلب المقدم بشأن ترجمة الكتاب: الإنباء عن عصمة الأنبياء

[illegible] إليكم ٦٦ صفحة

نفيد بأنه ليس بالكتاب ما يمنع من نشره وبيعه لا مانع من طبعه ونشره على نظام الحقوق، وفي حالة الزيادة أو النقصان يعتبر التصريح لاغيًا.

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والالتزام بالتنقيم (*) خمس نسخ لمكتبة الأزهر الشريف بعد الطبع.

علمًا بأن هذه الموافقة مقصورة على الطبعة الأولى للكتاب التي أعطيت عنها، وأن هذه الموافقة يزول أثرها ويلزمن تجديدها على أي طبعة جديدة تطبع بخلاف الطبعة الأولى أو بمرور خمس سنوات من تاريخ تصريح تلك الطبعة أيهما أقرب، ومن ثم فإنه لا يجوز إرفاقها بأي طبعة أخرى، لذا يأمل القائمون التي بأمر الالتزام بها.

والله الموفق وتعالى من وراء القصد،،،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تحريرًا في / / ١٤٣٨هـ
الموافق ٢٠١٧/١٠/١٥م

مدير عام
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة

الأمين المساعد للشئون الإسلامية

يعتمد
فضيلة أ.د/ الأمين العام

د. أحمد الدريني محمد عبد الحميد

الإنباء عن عصمة الأنبياء

اسم الكتاب / الإنباء عن عصمة الأنبياء .

المؤلف/ الشريف :وائل محمد رمضان أبو عجيبة اليماني الحسني
(حبيب الكل)

عدد الصفحات/ 69 صفحة.

عدد النسخ / 500 نسخة.

دار الطباعة/ دار الأمل للطباعة

بلد الطباعة/ القاهرة

رقم الإيداع/ 2016/27416

الترقيم الدولي/ 978-977-90-4537-5

تم بحمد الله في 11 من صفر عام 1438 هجريًا

الجمعة الموافق 11/ 11/ 2016 ميلاديًا

حقوق الطبع/ محفوظة للمؤلف.

إهداء

إلى أكرم العباد وأتقاهم

وأزكى الأنبياء وأبهاهم

وأعظم الرسل وأتقاهم

إلى النور المبين

وخاتم النبيين

وأعظم المعصومين

سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين

(وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[1]

[1] سورة آل عمران الآية 101.

المقدمة

بسم الله والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى أهل بيته وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: فإن أشرف العلم هو العلم بالإيمانيات (الله عز وجل) و(ملائكته) و(كتبه) و(رسله) و(باليوم الآخر) و(بالقدر خيره وشره).

وموضوع هذا الكتاب يتعلق بأنبياء الله ورسله علي نبينا وعليهم الصلاة والسلام، وبالتحديد عن مسألة غاية في الخطورة يترتب عليها المزيد فى الإيمان أو النقصان والعياذ بالله، وهذا لكونها تتعلق بالعصمة والدعوة، بل وتتعلق بشخصهم الكريم، إساءة أو إحساناً.

ولعل البعض ينفر من مسمي الكتاب بل وقد لا يقرأه أصلاً لمعرفته المسبقة بعصمة الأنبياء، وهو محق فى النفور لشدة ورعه وأدبه ومحبته، وقد يقبل البعض الآخر المسمى دون غضاضة، فالذي أخبرنا بمعصية آدم وغيره من الأنبياء هو الله عز وجل في كتابه الكريم.

وفى هذا الكتاب سيتبين بفضل الله تعالى حقيقة تلك المعاصى ومتى وقعت، وما الحكمة منها، وكيف وقعت مع وجود العصمة، وكيف لم يؤثر وقوعها على الدعوة، وغيرها من الأجوبة حول هذا الموضوع.

وهدفي من هذا المؤلف الصغير الحجم في مسألة حقيقة معاصي الأنبياء، تحذير المسلم علماً وعملاً، فلا يمر بذكر معاصي الأنبياء وقد وقع فيهم بالقدح، سواء فى صلاته أو خارجها، فالوقوع في عموم الناس يعد نميمة وغيبة، وأعظم منه عند الله الوقوع في الأولياء والصالحين، فما بالنا بوقوعنا في الأنبياء والمرسلين، عليهم السلام؟!.

بل إن الوقوع في الأنبياء والمرسلين والتطاول عليهم بحجة أنهم عصوا الله، يمحق الإيمان ويسلب همة العبادة، وله آثار كبيرة جداً على المؤمن، فيزول من قلبه الورع بسبب وقوعه فيهم، فما بالنا بمن يدرس ذلك لطلبة العلم، ويحسب أنه يحسن الدعوة.

وعقيدتى فى أنبياء الله ورسله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أنهم:(أشرف الخلق وأفضلهم خَلقاً وخُلقاً، وأنهم المصطفون الأخيار،

والمكرمون الأبرار، اختارهم الله من جميع خلقه لتبليغ رسالته، وأدبهم بالصبر والحب والرحمة، وأيدهم بروح القدس،ومنحهم العصمة الصغري والكبرى، ولم يجتمعا معاً لغيرهم، فصاروا مَجَالِي كل خلق كريم وكل فعل وقول حميد، فهم أحب الخلق إلى الله وأقربهم منه منزلة، ولن يوفي كلامي شيئاً يسيراً من قدرهم ومكانتهم وفضلهم، اللهم أحيني على حبهم وتوقيرهم واتباعهم وكل ما أمرتنا به تجاههم، وأمتني علي ذلك، واحشرنا بفضلك ورحمتك(مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا)[2]،

وصلى الله على سيدنا محمد، وأهل بيته وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

العصمة فى اللغة

العصمة لغة هي:

مَلَكةٌ إلهيةٌ [3] تمنَعُ من فعل المعصية والميل إليها مع القُدْرةِ عليها.

والجمع: عِصْمات، عِصَمٌ ، أَعْصُمٌ.

اِعتَصَمَ : (فعل)

اعتصمَ بـ / اعتصمَ في يعتصم، اعتصامًا وعِصْمةً، فهو مُعْتَصِم.

والمفعول: مُعْتَصَمٌ به.

اِعْتَصَمَ بِالجَبَلِ: اِلْتَجَأَ إِلَيْهِ ، اِحْتَمى بِهِ ، عَكَفَ بِهِ.

اِعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللَّهِ: اِلْتَجَأَ وَامْتَنَعَ بِحَبْلِ اللَّهِ مِنَ الْمَعْصِيَّةِ.

---

[2] سورة النساء الآية 69.

[3] والملكة: صفة راسخة فى النفس، وتحقيقه: أنه تحصل للنفس هيئةٌ بسبب فعلٍ من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى حالةً ما دامت سريعة الزوال. فإذا تكررت، ومارستها النفس حتى رسخت فيها، وصارت بطيئة الزوال، فتصير ملكة. (التعريفات /الجرجاني)

اِعْتَصَمَ العُمَّالُ بِساحَةِ الْمَعْمَلِ: اِعْتَكَفُوا بِها وَلَزِمُوهَا.
اِعْتَصَمَ بِهِ: أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ.
اعتصم بالصَّمت: سكت ولم يتكلَّم، اعتصم بالصَّبر: تصبَّر.
عصَمَ يَعصِم، عَصْمًا وعِصْمةً، فهو عاصِم، والمفعول مَعْصوم.
عَصَمَ إِلَيْهِ: اِعْتَصَمَ بِهِ، اِلْتَجَأَ إِلَيْهِ.
عَصَمَ اللَّهُ عَبْدَهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ: حَفِظَهُ، صَانَهُ.
عَصَمَ الشَّيْءَ: مَنَعَهُ.
والعصمة في لغة العرب: جاءت بمعنى الوقاية والمنع والحفظ.

قال ابن منظور:

«العِصْمة في كلام العرب المَنْعُ، وعِصْمةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه، عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً منَعَه ووَقَاه وفي التنزيل: (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِم)[4].
واعْتَصَمَ فلانٌ بالله إذا امتنع به، والعَصْمة: الحِفْظُ، يقال: عَصَمْتُه فانْعَصَمَ، واعْتَصَمْتُ بالله إذا امتنعْتَ بلُطْفِه من المَعْصِية.
وعَصَمه الطعامُ: منَعه من الجوع، وهذا طعامٌ يَعْصِمُ: أي: يمنع من الجوع، واعْتَصَمَ به واسْتَعْصَمَ: امتنعَ وأبَى.
قال الله عز وجل حكايةً عن امرأَة العزيز حين راودَتْه عن نفْسِه: (فَاستَعْصم)[5] أي: تَأَبَّى عليها، ولم يُجِبها إلى ما طلبَتْ»[6]

****

---

4 سورة هود الآية 43.

5 سورة يوسف من الآية 32.

6 لسان العرب مادة :(عصم) :

العصمة في الاصطلاح

قال الراغب:(عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: حفظهم بما خصوا به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الأخلاق والفضائل، ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق)[7]

وعرفها صاحب(**كتاب نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض**) بأنها: (لطف من الله تعالى يحمل النبي على فعل الخير، ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء) [8].

وقال الشوكاني: (واختلفوا في معنى العصمة، فقيل:

هو أن لا يمكن المعصوم من الإتيان بالمعصية.

وقيل: هو أن يختص في نفسه أو بدنه بخاصية تقتضي امتناع إقدامه عليها، إنها القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية.

وقيل: إن الله منعهم منها بألطافه بهم فصرف دواعيهم عنها.

وقيل: إنها بتهيئة العبد للموافقة مطلقا، وذلك يرجع إلى خلق القدرة على كل طاعة)[9].

وقيل: "المراد بالعصمة الحفظ من صدور الذنب" [10].

---

7 روح المعاني للآلوسي.

8 نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض.

9 إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: الشوكاني.

10 روح المعاني للآلوسي – ويؤيد المعاني المذكورة قوله تعالى:(وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ) يوسف33. فهذا المراد بالمنع بألطافه عن أنبيائه.

وقال المناوي: (العصمة مَلَكة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها)[11].

وقال الحافظ ابن حجر:(وعصمة الأنبياء على نبيّنا وعليْهِم الصَّلاة والسَّلام حِفْظُهم من النقائص، وتَخصيصهم بالكمالات النفسية، والنصرة والثَّبات في الأمور، وإنْزال السَّكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أنَّ العِصْمة في حقِّهم بطريق الوجوب، وفي حقِّ غيرهم بطريق الجواز)[12].

وقال الرَّاغب:(عصمة الله الأنبياءَ:حِفْظُه إيَّاهم أوَّلاً بما خصَّهم من صفاء الجوهر، ثمَّ بما أوْلاهم من الفضائل الجسمية والنفسية،ثم بالنصرة وتثبيت أقدامهم،ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم وبالتَّوفيق)

وقال أحمد الخفاجى المصري: (بأنَّها:لطفٌ من الله تعالى يَحمل النبيَّ على فعل الخير، ويزْجره عنالشَّرِّ،مع بقاء الاختِيار تحقيقًا للابتِلاء)[13].

****

العصمة فى القرآن الكريم

وردت العصمة في القرآن الكريم بالفاظ متعددة:

---

11 تاج العروس مادة عصم (ج1/ ص7819)

12 فتح الباري لابن حجر (ج18/ ص454)

13 نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض ص39 ج4(تحقيق : محمد عبد القادر عطا)

منها:(**يَعْصِمُكَ**) كما في قوله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)[14].

ومنها:(**يَعْصِمُنِي**) كما في قوله تعالى:(قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ)[15].

ومنها: (**فَاسْتَعْصَمَ**) كما في قوله تعالى:(قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ)[16]

---

[14] سورة المائدة 67.

15 سورة هود الآية 43.

16 سورة يوسف 32.

ومنها:(**يَعْصِمُكُمْ**) كما في قوله تعالى:(قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا)[17].

ومنها:(**بِعِصَمِ**) كما في قوله تعالى:(وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[18].

ومنها:(**عَاصِمٍ**) كما في قوله تعالى :(وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [19]

---

[17] سورة الأحزاب الآية 17.

[18] سورة الممتحنة الآية 10.

[19] سورة يونس الآية 27.

وكما في قوله تعالى:(يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ)[20].

ومنها:(**يعتصم**) وكما في قوله تعالى:(وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[21].

ومنها:(**واعتصموا**) وكما في قوله تعالى:(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا)[22].

وكما في قوله تعالى: (وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[23].

---

[20] سورة غافر الآية 33.

[21] سورة آل عمران الآية 101.

[22] سورة النساء الآية 175.

[23] سورة آل عمران الآية 103.

العصمة في الأحاديث النبوية

وكذلك وردت العصمة في الأحاديث النبوية بألفاظ متعددة منها:

(1) عن عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:(لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنْ الْعَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ، وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ، أَنَّهُ الْحَقُّ)[24].

(2) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ: تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ)[25].

(3) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:(مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ)[26].

(4) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:(مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ

---

[24] صحيح البخاري .

[25] صحيح البخاري .

[26] مسند أحمد .

مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ)[27].

(5) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، لَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ)[28].

فالعصمة واضحة في الأحاديث، وتدل على وقوعها لغير الأنبياء، وهي العصمة الكسبية لمن اتبع شرع الله ونهج النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك نرى جانباً منها واقعاً للنبي من قبل ولادته وفي زمن طفولته وإلى أن بعث صلى الله عليه وسلم كما سيأتي بيانه بتوضيح أكثر- إن شاء الله عز وجل.

(ما يجب في حق الأنبياء والرسل، وما يجوز وما يستحيل عليهم)

إجمالاً: يجب في حق الأنبياء والرسل كل كمال بشري خَلقاً وخُلِقاً، ويستحيل عليهم كل نقص خَلْقاً وخُلُقاً.

فالأنبياء والرسل موصفون بالطهارة القلبية والجسدية والنسبية وكذلك متصفون بالأمانة والعفة والصدق، والإخلاص، والرحمة، والحلم، والعلم، وإجمالاً: كل صفة محمودة، وكل خلق كريم.

---

[27] البحر الزخار - وهذا يؤكد المعنى القائل بأن العصمة على سبيل الوجوب فى حق الأنبياء، (العصمة الكبرى). وعلى سبيل الجواز فى حق غيرهم من المتقين (العصمة الصغرى).

[28] دلائل النبوة للبيهقي.

ولاشك أن سيد الأنبياء هو أكملهم وأعظمهم خُلقاً وخلقاً فهو الذي مدحه الله عز وجل في كتابه قائلاً: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ)[29].

وغيرها من الصفات الأخرى العظيمة التي خُصَّ بها ولم تكن لغيره سواء على مستوى النبوة والرسالة أو على المستوى الشخصي (الحياتي).

ولا شك أن من أشهر الصفات التي تميز بها حضرة النبي صلى الله عليه وسلم بين قومه: هي الصدق والأمانة، فقد عرف بالصادق الأمين، وهاتان الصفتان من لوازم كل نبي ورسول بالإضافة إلي غيرها من الأخلاق الكريمة.

وكما وصف الله عز وجل نبيه ﷺ بأنه علي خلق عظيم كذلك وصف أنبياءه ورسله بأجمل الصفات ومنها:

قوله تعالى:(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا)[30].

وقوله تعالى:(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا)[31].

وقوله تعالى:(وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ۝ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا)[32].

---

[29] سورة القلم الآية 4.

[30] سورة مريم الآية 51.

[31] سورة مريم الآية 54.

وقوله تعالى:(فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ)[33].

وقوله تعالى:(وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[34]

(ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ)

لقد اصطفى الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام من جميع خلقه، وزينهم ظاهراً وباطناً بالجمال والجلال والكمال، فكانوا أفضل أهل زمانهم بغير منازع من كل الجوانب الخَلْقية والخُلُقية.
ولله تعالى مقاييس خاصة لاختيار أنبيائه ورسله، ومنها:

قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ).

وقوله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

---

[32] سورة مريم الآية 56.

[33] سورة هود الآية 75.

[34] سورة الأنبياء الآيتان 85و86.

وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ)[35].

ولذلك فإن الصفات المنافية لتلك الصفات الإيمانية العليا هي صفات مستحيلة في حق الأنبياء، فيستحيل عليهم الكفر والشرك والجهل والمعصية والكذب والخيانة والظلم...إلخ، فقد أعدهم الله على أكمل الصفات وجهزهم لحمل أمانة الدعوة إليه في كل مكان وزمان.

خصوصية الأنبياء والمرسلين

إن للأنبياء خصوصيات يتميزون بها عن الناس من ثلاثة وجوه:

الأول: عصمتهم من حيث تلقي الوحي، فلابد وأن يعلم تمام العلم بما أُوحي اليه وبما يراد منه من أوامر ونواهٍ، وغير ذلك مما يحتوي عليه الوحي.

والثاني: عصمتهم من حيث تبليغ الرسالة للناس، فلابد وأن يوصلوا الوحي كما تلقوه وفهموه فلا ينسوا منه شيئاً ولا يخفوا بعضه.

والثالث: من حيث عصمتهم عليهم السلام عن كل ما ينافي العبودية لله (مثل الشرك بالله بأنواعه أو الكذب أو النفاق أو العصيان المتعمد). قال تعالى: (وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ).

أما من حيث الجانب الشخصي (الحياتي مثل: الزوجة / الأولاد/ الأحفاد/ الخدم/ البيع والشراء/ التجارة ....إلخ) للنبي والرسول أو الولي والصالح:

---

[35] سورة النور الآية 53.

فتكون العصمة عبارة عن توفيق المولي عز وجل للعبد، وفيها التفاضل بينهم وبين المؤمنين، أقصد من حيث دوام الحضور أو الغفلة والهمة أو الكسل، والطاعة أو المعصية إلاَّ أن النبي لا تقع منه الغفلة أو الكسل أو المعصية، لشدة أنواره وسمو تقواه إلاّ ما كان عن سهو أو غير قصد، ولكن يقتدون به في الحضور والهمة والطاعة، فالأفضلية تقع للأنبياء جزماً، وعصمة الله التي ينالها العبد ليس معناها إجبار الله تبارك وتعالى له على الطاعة، أو منعه عن المعصية بل تكون بتزيين الإيمان والتقوى في قلبه وتبغيض الكفر والفسوق له.

قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)[36].

أي يوفق قلبه لاختيار الحق، مع قدرته وكامل حريته علي إتيان الشر، فميل العبد إلي الإيمان قولا وفعلا، وبعده عن الكفر قولا وفعلا هو ما يسمي بالتوفيق الإلهي.

قال تعالى:(وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[37].

ومما يجب أن يُعلم أنه مهما بلغ المؤمن من تقوى وولاية، فهو دون مقام النبى والرسالة، فمقام النبوة، فوق مقام الولاية، والنبي فوق الولي دون أدنى شك، قال تعالى:(وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ)[38].

---

[36] سورة الأنفال الآية 24.

[37] سورة هود الآية 88.

[38] سورة الصافات الآية 164.

****

الإنباء عن عصمة الأنبياء

(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا) [39]

[39] سورة النساء الآية 175

هل للأنبياء معاصٍ أو أخطاء؟

وهل إذا كان ذلك يقع منهم ، فهل يقع بعد النبوة أو قبلها؟

الحقيقة أن الأمرين لا يقعان إلاَّ قبل الرسالة والإرسال، ويكون ذلك غالباً في وقت الصلاح، وهي الرتبة التى تكون قبل النبوة مباشرة، وبما أن النبوة قد ختمت، فمن يرتقي الآن بعد الصلاح للمنزلة التى قبل النبوة، وهي الصديقية، يصير ولياً.

أما بعد النبوة والإرسال فالعصمة تمنع ذلك بفضل الله ومن أمثلة ذلك:

(1) ما وقع لسيدنا موسي قبل النبوة والإرسال وذلك في قوله تعالى:

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ)[40].

أولاً: نؤكد أن هذا الحدث وقع قبل نبوة سيدنا موسي وإرساله.

ثانياً: نرى هنا ثلاث مسائل قتل موسى عليه السلام للرجل: (فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ)، وقول موسى: (هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ)، وقول موسى: (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى)

فأما المسألة الأولى: فقد وقع القتل دون قصد منه فلم يطعنه بسلاح ولم يضربه بحديدة أو حجر مما يؤدى للوفاة، ولكنه وكزه لينهي الكافر عن ضرب المؤمن الذى من شيعته فمات الرجل قدراً.
وأما المسألة الثانية فقول موسى فيها:(هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ)، لكون هذا الفعل تسبب عنه مقتل إنسان كما فعل قابيل بهابيل بعدما وسوس له الشيطان بذلك، فكأنه فطن إلي أن الرجلين إنما تشاجرا بفعل الشيطان فأشار لنتيجة العمل، مع الفارق بين التعمد والخطأ.

[40] سورة القصص الآيات 14و15و16و17و18و19.

وأما المسألة الثالثة في قول موسى: (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)، فإنما قال ذلك لكون الأنبياء منذ طفولتهم وهم مجبولون علي الرحمة بالناس بل وبالخلق جميعاً ، فما بالنا وموسي في شبابه وإيمانه وولايته ، وقد ماتت نفس بسببه علي الكفر.

وقد ورد عن عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَا: " إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: **إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا)**[41].

هكذا حال الأنبياء مع الخلق، فإن كان هذا حال موسي قبل النبوة فما بالنا بحاله بعد النبوة والرسالة!.

وأما الدليل على أن هذا الحدث وقع قبل النبوة والرسالة فهو: وقوع المكالمة لموسى وما فيها من تعريف، وأمر بالعبادة، وتكليف بالرسالة بعد قتل الرجل وخروجه من مصر بعدة سنوات.

وذلك قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن

[41] صحيح البخاري ومسلم.

لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا)[42]

(2) **ما وقع لسيدنا يونس** عليه السلام حينما ترك قومه غاضباً عليهم يائساً من إصلاحهم، وظن أن الله لن يضيق عليه ولن يحاسبه على هجرهم هكذا، وذلك فى قوله تعالى: (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ

[42] سورة طه الآيات من 9 : 35.

إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ)[43].

وقوله تعالى:(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[44].

وهنا مسألتان منها:

قوله تعالى: (وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ).

وقوله تعالى:(فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ).

وأقول وأؤكد دائماً: أن ذلك كان قبل نبوته وإرساله، وأنه وقع منه حال ولايته وصلاحه وإصلاحه ، فالنبي قبل أن يصير نبياً كان ولياً حنيفاً مسلماً موحداً يعبد الله علي درب الأنبياء السابقين.

---

[43] **سورة الأنبياء الآيتان 87 و88.**

[44] **سورة الصافات الآيات من 139 : 147.**

وعلى هذا، فخروج يونس وقع في وقت صلاحه وقبل إرساله ودليل ذلك قوله تعالى:(وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[45]

فهذا بيّن أن الإرسال تم بعد وقوع الغضب منه على قومه وهجره لهم.

ولا تظن أن قوله تعالى: (وَإِن يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ) أول الآية يدل على أنه كان رسولا قبلها، فهذا غير صحيح، فذكر يونس بالرسالة هنا جاء في معرض ذكر الرسل والشهادة ليونس بأنه من المرسلين. كما شهد لمن قبله من النبيين فى نفس السورة مثل قوله تعالى: (وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)، وقوله تعالى: (وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ).

ونعود لبيان المسألتان :

فأما الأولى، وهي قوله تعالى:(وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ)، فلا يمكن أن يخرج نبيٌّ دون أمر إلهي بهجرته، فلكل نبي دار هجرة تحدد له، وزمان هجرة لا يستطيع أن يتخطاه، وفى

[45] سورة الصافات الآيات من 139 : 147.

السيرة النبوية نرى كيف صبر رسول الله على أذى قريش ثلاثة عشر سنة، بل وأمر أصحابه بالهجرة، ولم يهاجر إلا بعد أن حدد له ميعاد هجرته وبلده الجديد، وعلى هذا جميع الأنبياء، فخروج يونس لم يكن خروجا نبويا ولكن كان خروجا ولائياً، ورغم أن قانون النبوة لا يسرى على الولى إلا أن الله أراد أن يعد يونس للنبوة وقوانينها، وعلى رأسها قانون الرحمة بالعالمين والصبر على الظالمين المعاندين منهم، ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

وقد تعلم يونس الدرس بعدما اختاره الله واجتباه، ونبأه بأنه قد غفر لقومه، ولذا نادى يونس قائلاً:(فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) فيا لها من توبة وكلمات.

ولا يمكن أن نمر على قصة يونس عليه السلام دون ذكر مسألة ثالثة غاية فى الأهمية وهي قوله تعالى لنبيه ﷺ:(فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝ فَٱجْتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)[46].

فهاهنا تنبيه إلهي لنبينا ﷺ أن يصبر ولا يكون مثل يونس في قلة صبره علي قومه، هذا مع الفارق الكبير بين صبر النبي وصبر الولى، إنما نبهه الله عز وجل على ذلك لأنه أدنى صبرٍ يمكن قبوله من نبي في مقام الرسالة، ونعيد فنؤكد أن ذلك وقع من يونس قبل نبوته ورسالته.

---

[46] سورة القلم الآيات 48و49و50.

ودليل ذلك قوله تعالى عن يونس بعدها: (لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ)، فالنعمة هي: الرسالة، والاجتباء هو: النبوة، والمقصود بأن الله سبحانه وتعالى جعل يونس من الصالحين، فذلك صلاح الأنبياء، وليس صلاح الأولياء الكائن قبل النبوة.

ولذا لما كثر الغلط من الناس تجاه ما وقع من يونس في ولايته وقبل نبوته، ولم يدرك الناس الفرق بينهما، قال رسول الله ﷺ:(مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ)[47]. وفي رواية: (مَنْ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَدْ كَذَبَ) [48]وذلك لعلم نبينا صلى الله عليه وسلم أن يونس صار نبياً،ولا ينبغي خلط الأوراق ببعض،وللأنبياء حرمة تفوق حرمة الأولياء، بل ولا يقاس بهم الأولياء.

قال تعالى:(ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ)[49].

ونخرج من ذلك أن صلاح الأولياء فى مقام الولاية أقل درجة من صلاحهم في مقام النبوة والرسالة من حيث تحمل الناس والصبر على

---

[47] صحيح البخاري.

[48] صحيح البخاري.

[49] سورة البقرة الآية 285.

آذاهم، وإجمالاً من حيث العصمة (الوهبية) فيما يخص الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وأن الأنبياء في أول شأنهم وقبل نبوتهم كانوا أولياء صالحين على نهج أنبياء سابقين عبادة وتوحيداً.

(3) **ما وقع لسيدنا آدم** عليه السلام حيث أتي ما نهاه الله عنه نسياناً وخطأً قبل نبوته وإرساله وبيان ذلك في قوله تعالى:(وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[50].

وقال تعالى: (وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ

[50] سورة البقرة الآيات 35و36و37و38.

لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٢٢ قَالا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٢٣ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ)[51].

أقول وبالله التوفيق: أولاً: النهي الوارد لآدم (أي: الأمر الإلهي) ما هو إلاّ نهي إرشادي وأمر تحذيري في مقام ولايته وليس نهياً تكليفياً لكون الجنة ليست محل تكليف بل محل جزاء ورحمة.

فالنهي الإرشادي أو التحذيري إن وقع يترتب عليه ضرر شخصي وليس تشريعي يتعلق بالثواب والعقاب، كما هو الحال في النهي التكليفي، كالامتناع عن أكل الخنزير مثلاً، فمن أكله تعرض للعقاب.

ومثال ذلك:

---

[51] **سورة الأعراف الآيات 18 و19 و20 و21 و22 و23 و24.**

قوله تعالى لإبليس:(وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا)[52].

فهذا ليس أمراً تكليفياً من الله عز وجل لإبليس، وإلا لوصف إبليس بالطاعة ، وهذا محال.

ولكنه إخبارٌ من الله تبارك وتعالى بما أضمره إبليس في نفسه، وعقد عليه نيته تجاه آدم وذريته، فأخبره الله به، وأعلمه أنه لن ينال من الصالحين شيئاً، وأن كيده تجاههم سيكون ضعيفاً.

ثانياً: لقد وقع النسيان الذى ترتبت عليه المعصية من آدم قبل أن يستخلفه الله في الأرض، ويجعله نبياً كما بينا سابقاً، قال تعالى: (وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا)[53].

ومن ثم تاب الله على آدم من بعد ذلك، واجتباه لنبوته وخلافة الأرض، فجعله نبياً من الصالحين.

ودليل ذلك:

---

[52] سورة الإسراء الآية 64.

[53] سورة طه الآية 115.

قوله تعالى :(فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)[54]

والاجتباء هو: النبوة والاستخلاف في حق آدم عليه السلام.
وقد ورد عن أبي ذر رضي الله عنه: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلُ؟
قَالَ: " آدَمُ "
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَنَبِيٌّ كَانَ؟
قَالَ: " نَعَمْ، **نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ**)[55].

إذاً فوقوع المعصية أو الخطأ من النبي لا يكون بعد إرساله قط
وإنما يكون قبل نبوته وإرساله في مقام صلاحه وولايته كما تبين سابقاً

****

(4) ما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام

ورد في كتاب الله ما قد يفهم منه خطأً أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد عبد الكواكب، وذلك فى قوله تعالى:(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا

---

[54] سورة طه الآية 121و122.

[55] مسند أحمد ومسند أبي داود.

قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَـٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـٰذَا رَبِّي هَـٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَـٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)[56].

أقول وبالله التوفيق:

إن الأنبياء معصومون بفضل الله عز وجل من الشرك والكفر ...الخ، منذ الولادة وحتى الممات، سواء أكان ذلك في مرحلة الولاية والصلاح أو في مرحلة النبوة والرسالة. هذا أولاً.

أما ثانياً: فقد أخبر كثير من العلماء أن إبراهيم عليه السلام قال ما قال استدراجاً لقومه لإقامة الحجة العقلية عليهم، وقول العلماء فى ذلك هو الصواب والحق، ونزيد على ذلك أن تلك الواقعة وغيرها قد حدثت في حال ولايته وصلاحه قبل أن يصطفيه الله للنبوة والإمامة.

ودليل ما قاله العلماء هو قوله تعالى: (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَآجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)[57].

---

[56] سورة الأنعام الآيات 76 و77 و78.

[57] سورة الأنعام الآية 80.

فنجد في الآية ذكر المحاججة، ولعل كل واحد منهم تباهى بكوكبه الذي يعبده، مما جعل إبراهيم عليه السلام يقول لهم ما قال ولذا قال تعالي: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[58].

إذاً فهي حجة عقلية ألهمها الله لإبراهيم فى مقام ولايته، ومشهور أن ما وقع لنبي كمعجزة جاز وقوعه لولي ككرامة، ومن ذلك الإلهام والعلم والحكم، والحكمة، وغير ذلك من مواريث النبوة. ومما يؤكد إيمان إبراهيم وتوحيده لله رب العالمين قوله تعالى:

(يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ).

إذاً فلم يكن إبراهيم عليه السلام مشركاً، ولم يسجد لكوكب قط، وحاشاه، وأيضاً مما قد يفهم خطأً ما ورد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات!!.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَام قَطُّ، إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ، قَوْلُهُ:(إِنِّي سَقِيمٌ)، وَقَوْلُهُ:(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا)، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ، وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي، يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ، فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ، رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ، لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا،فَأُتِيَ بِهَا،فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ، لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا،

---

[58] سورة الأنعام الآية 82.

فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي،وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ،فَعَادَ،فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ،وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ،وَدَعَاالَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ:إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ،فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي،وَأَعْطِهَا هَاجَرَ، قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَام، انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا)[59].

أقول- وبالله التوفيق-:

ذكر فيما مر أن الأنبياء والرسل لا يجوز عليهم الكذب قط، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من كون ذلك في مقام الولاية، وليس هذا معناه أن الكذب جائز في الولاية، ولكن المقصود أن الولي يسمح له باستخدام العقل، ومن أسلحة العقل الحكمة والحيلة في إقامة الحجة كما فعل إبراهيم عليه السلام، وكما فعل سليمان مع المرأتين اللتين ادعيا أن الولد ابنهما، فجاء بسيف وقال اقسمه بينكما نصفين، فصرخت الأم الحقيقية رافضة، ووافقت الأم المزيفة، فحكم به لأمه الحقيقية.

فالولي في أمور الدعوة بخلاف النبي الذي يقدِّم الوحي على العقل والحكمة والحيلة في أمور الدعوة إلى الله عز وجل.

وهذا لا يسمى كذباً إلاَّ تعريفاً أما على الحقيقة فلا، ومما يؤكد ذلك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال:(**لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**)[60]

إذاً فعلى الحقيقة لم يكذب إبراهيم في قوله:(إني سقيم)، لكونه بالفعل كان سقيماً من عبادة قومه للكواكب وغيرها.

---

[59] صحيح البخاري ومسلم.

[60] صحيح البخاري ومسلم.

وكذلك لم يكذب في قوله: (بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ).

لأن قوله لهم ليس بإجابة منه على سؤالهم، بل هو نوع من السخرية والاستدراج لإقامة الحجة عليهم لعلهم يدركوا حقيقة الأمر وكاد والله أن يرجعهم عن عبادة الأصنام.

قال تعالى:(وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ۝ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ۝ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)[61]

ولم يكذب في قوله: (إن سارة أخته).

---

[61] **سورة الأنبياء الآيات 58: 67.**

أولاً: لأن ما قاله كان حقاً فهي أخته في الإيمان، قال تعالى:(إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ)[62].

وثانياً: لأن ذلك من الحكمة والفطنة الإبراهيمية، ووفقاً للقانون المحمدي السابق لا يعد ذلك كذباً، كما لا يعد الكذب في الحرب كذباً، وكما لا يعد قول الزوج لزوجته الذميمة أنها جميلة كذباً، ولا في الإصلاح بين الناس، وان كان تعريفه الظاهر كذباً.

وقد اصطفى الله عز وجل إبراهيم للإمامة وهي النبوة والرسالة بعد تلك الحوادث، أقصد ما وقع بينه وبين قومه من محاججة.

قال تعالى:(وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ)[63].

وكان الله عز وجل قد أعده قبل النبوة والإمامة لكل ما سبق ذكره فقال تعالى: (وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ)[64].

ومما يميز الأولياء:(الرشد والحكمة والعلم والإلهام والتوفيق واللطف ....إلخ).

وكلها أدوات يمد الله عز وجل بها أولياءه قبل اصطفائهم للنبوة والرسالة، فمن تخطى تلك الامتحانات اصطفاه الله للنبوة أو الرسالة،

---

[62] سورة الحجرات الآية 10.

[63] سورة البقرة الآية 123.

[64] سورة الأنبياء الآيتان 51 و52.

وكان هذا قبل ختم النبوة بنبينا ﷺ، وصار الولي فى الأمة المحمدية لا يتخطي الولاية، إلا أنه أُعطى مكانها الوراثة المحمدية، ويا لها من وراثة، لم يفز بها سوي أولياء هذه الأمة المرحومة.

وأما ما وقع لسيدنا محمد ﷺ ، فسوف أُفرد له كتاباً خاصاً نرد فيه عن كثير من الشبهات التي أثاروها ونفندها، وسوف أضيف لها - بإذن الله- باباً خاصاً بما فهم خطأً من آيات العتاب أو الوعيد، وغير ذلك - إن شاء الله تبارك وتعالى-.

****

العصمة والمعصومون

من أخلص واتقى وفق وأُيد ولطف به، ومن وفق وأُيد ولطف به اعتصم بالله، ومن اعتصم بالله عُصِم، نبياً كان أو ولياً.

فلابد من الاعتصام لنوال العصمة، والاعتصام ينبع من التقوى.

والاعتصام (كسب من العبد)، والعصمة(وهب من الله تعالى)، وكما أن الاعتصام بالله اجتهادات، فإن العصمة كذلك درجات، فليس من

تقرب إلى الله شبراً، كمن تقرب إليه ذراعاً، وليس من أتاه ماشياً كمن أتاه هرولة، وليس من داوم على الاعتصام، كمن غفل عنه نسياناً ولو لحظة، كما حدث مع آدم عليه السلام، قال تعالى: (وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا)[65].

ومثل ما حدث مع موسي حينما اعترض على العبد الصالح، فقال تعالى: (قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا)[66].

أما يوسف عليه السلام حينما تعرض للامتحان، وفق للاعتصام لتقواه وصلاحه، ولهذا عصمه الله عز وجل.

فقال تعالى:(قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ)[67].

قال تعالى:(تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ)[68].

ولا شك أن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ هو كبير المستعصمين وأمير المعصومين، وهو الحائز على أعلى درجات العصمة والاعتصام. فعصمة الأنبياء- وإن كانت عصمة كبرى- إلاّ أنها إذا ما قورنت

---

[65] سورة طه 115.

[66] سورة الكهف الآية 73.

[67] سورة يوسف الآية 32.

[68] سورة البقرة الآية 251.

بالعصمة المحمدية الكبرى للمصطفى ﷺ ظهر الفرق واضحاً، ولعل هذه المقارنة تعد ظلماً لهم ولمكانتهم، لكون العصمة المحمدية الكبرى لا يستطيعها أحد منهم قط، ولم يصل إليها سواه ﷺ، ولهذا يتقهقر الجميع عن الشفاعة، ويتقدم هو صلى الله عليه وعليهم.

فمن تأمل الذي قلناه علم أن الأنبياء قبل نبوتهم معصومون على قدر تقواهم وصلاحهم وإصلاحهم، وهي العصمة الصغرى الخاصة بالمستوى الشخصي للنبي قبل نبوته أو الولي والصالح.

هل نسيان النبي (المعصوم) يشكك في عصمته؟

أقول- وبالله التوفيق-: لا يشكك النسيان في عصمة النبي أو الرسول، وذلك لكون نسيان الأنبياء له سببان:

السبب الأول: يكون متعلق بشئون المعصوم الخاصة، ولا يتعلق بما يخص الرسالة والتبليغ عن الله من قريب أو بعيد، كنسيان موسي اتفاقه على عدم الاعتراض على العبد الصالح (الخضر)، أو كنسيان موسى ويوشع لحوتهما، ولا تظن أن الشيطان المذكور في آية نسيان موسى ويوشع لحوتهما هو إبليس، فإن إبليس لا سلطان له على الصالحين، قال تعالى: (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ)[69]

وقال تعالى:(إِن عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ)[70].

---

[69] سورة الحجر الآية 40.

[70] سورة الحجر الآية 42.

وقال تعالى:(فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَنِ ٱلرَّجِيمِ ۝ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ)[71].

ولا شك أن موسى ويوشع لا سبيل للشيطان عليهم، فهم أنبياء الله وإن لم يكن يوشع نبيا فهو ولي ومن الصالحين، فلا سبيل للشيطان عليهما، إنما المقصود بقوله تعالى: (قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنْسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ)[72]، هو الانشغال النفسي بأمر جعله ينسى أمر الطعام، وهذا يعد شططاً وبعد عن الأمر المراد منهما، وهو تذكر العلامة التى غفل عنها، والتي يوجد عندها العبد الصالح المشار إليه بالخضر عليه السلام، فالشيطنة هنا تأتي بمعنى البعد والشطط كما هو وارد في اللغة، وليس بمعنى ابليس. فالله تبارك وتعالى لم يقل:(وما أنسانيه إلا إبليس)، فالأنبياء والأولياء المُخلصين لا سبيل لإبليس عليهم.

فكلها أمور شخصية، فإذا شاء الله عصم النبي في أموره الشخصية كلها، وإذا شاء غير ذلك لحكمة يعلمها لم يُعصم، فالاعتصام في الأمور الشخصية للنبي قد يفوته نسياناً مقدراً من الله وليس متعمداً،ولذا نرى الحبيب المصطفيﷺ يطلب من مولاه مُستعصما به في أموره

---

[71] **سورة النحل الآيات 98و99 و100.**

[72] **سورة الكهف الآية 63.**

كلها:(اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، **فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ**، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)[73].

وأما السبب الثاني: فيكون متعلق بالتشريع الإنسائي (الفعلي).

فعندما أَخْبَر الصحابة الرسول ﷺ أنه نسي ركعتين من الصلاة واستفسروا منه انقصت أم نسيت؟ فقال:(لَمْ تُنْقَصِ الصَّلَاةُ وَلَمْ أَنْسَ)[74] فنسيانه ﷺ لا يقال عليه نسيان، ولكن يقال له: (إنساء تشريعي من الله)،وليس نسيان غفلة أو سهو أبداً. ولا إقراراً منه ﷺ بأنه ينسي نسيان الناس ويغفل في صلاته كما يغفلون بسبب دنياهم.[75] ومن فوائد الإنساء دفع عقيدة التأله التي ينسبها الناس للكوامل من البشر،ومن هنا يتبين لنا أن النبي لو استعصم كي لا ينسى في الصلاة لماعصمه لنفوذ المشيئة الإلهية في بيان تشريعي لابد منه.ألم يقل له رب العزة في كتابه:(سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ)[76]،فكيف يستعصم مما عصمه الله منه واستثناه،وهو النسيان؟!

فلا يُقال أن إبليس أنسي المصطفي ﷺ ركعتين من الصلاة فلا سبيل له عليه، بل لا سبيل له علي أصحابه ومنهم سيدنا عمر رضي الله عنه الذي قال النبي ﷺ له:(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَاسَلَكْتَ فَجًّا إِلَّا سَلَكَ الشَّيْطَانُ فَجًّا سِوَاهُ "، يَقُولُهُ لِعُمَرَ)[77].

---

[73] سنن أبي داود.

[74] سنن النسائي وقد ورد في البخاري ولكن محل الشاهد ورد بالنسائي.

[75] ولله در القائل: ياسائلي عن رسول الله كيف سها.... والسهو من كل قلب غافل ساه
عن كل شيء سهـا قلبـه فسها .... فالتعظيم لله فالتعظيم لله.

[76] سورة الأعلى الآيتان 6و 7.

[77] مصنف ابن أبي شيبة

ولابد لحضرة النبيﷺ من العصمة الكبرى التي لا يتخللها غفلة، ولو في حال نومه قال ﷺ:(تنام عيناي ولا ينام قلبي).

وكذلك لا يتخللها نسيان قال ﷺ:(إني لا أنسى ولكني أُنسى لأَسُنَّ).

وإلا لنافى ذلك كماله وتعارض معه ولما أختلف عمن قبله في شيء ولضاع معنى رفع بعضهم فوق بعض درجات، ولذهب معني قوله تعالى:(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، فكيف يُخطأ وينسى ويكون خطأه ونسيانه خير نقتدي به، فلا تبعيض في عصمة رسول الله ﷺ خاصة. فلو كان له ﷺ ذنوبٌ ولو صغيرة لاتخذها العصاة ذريعة على فعل الذنوب، اقتداء برسول الله ﷺ وبأمر من الله تعالى.

فافهم ولا تتوهم ما يُسيء للأنبياء عموماً وإلي سيدهمﷺ خصوصاً. إذاً فالعصمة في جانب التشريع ثابتة، ومقطوع بها لكونها تخص رسالة الله التي أراد وصولها لخلقه فهو سبحانه وتعالى المتكفل ببقائها في رسله دون استعصامٍ منهم، أما فيما يخص أحوالهم الشخصية فلابد لهم من الاستعصام بالله(التقوى) كي يعصموا، وعلى ما قلناه فالعصمة دليل الاستعصام، والاستعصام دليل الإخلاص والتقوى، وليس كما يدعي البعض أن عصمة الأنبياء خاصة بالتشريع فقط، وما سوى ذلك فلا عصمة لهم، إن هذا الفهم لبس كبير قد بينا خطأه كما ترى فتأملها كثيراً ترشد إن شاء الله.

والناس في توصيف المعصوم صنفين غالٍ ومفرط:

فأما الغالي فيها: فقد جعل العصمة تبلغ بصاحبها مقام الألوهية، مثلما فعلت النصارى بعيسى عليه السلام لما رأوا منه من كمال العصمة، وكما فعل البعض مع الإمام علي رضي الله عنه.

وأما المفرط فيها: فأراد محو العصمة والمعصومين، فلا نبي ولا إمام ولا ولي، بل ولا حتى رسول الله سيد المعصومين ﷺ ليس بمعصوم!!.

وأما الذين هدى الله فأولئك يثبتون ما أثبته الله في كتابه ويتبعون ما ورد عن النبيﷺ في سنته، ولا يخشون فى الله لومة لائم، فلاهم يرفعون الأنبياء والأئمة والأولياء إلى الالوهية،ولا هم يبخسونهم

عصمتهم، بل يقرون بالعصمة لمن عصمه الله من عامة المؤمنين، فقد قال تعالى:(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ).

وقال تعالى: (وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ).

فهذه الآيات وغيرها تكلم المؤمنين، وتحثهم على الاعتصام لكي يعصمهم الله، وهي كما نرى لا تخص الأنبياء والمرسلين فقط، بل مطلقة وتشمل المحسنين من الأولياء والصالحين، قال المعصوم صلى الله عليه وسلم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، **فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ** تَعَالَى)[78].

فنفيهم العصمة عن بعض الأنبياء جاء من تلك الآيات المذكورة وغيرها التي تدل علي وقوع ما ينافي العصمة من الأنبياء، وأقول: لولا أن الأنبياء والأولياء قد يقعون في الخطأ دون قصد أو تعمد، لظن الناس أن العصمة فيهم ذاتية، سواء اتقوا وأصلحوا أم لا.

فالعصمة إما أن تكون تشريعاً كما مر بيانه، أو لنفي الألوهية عن النبي والرسول والصالح. أو تكون لبيان ضرورة التوبة من الذنب ولو لم يكن مقصوداً ومتعمداً، أو لحكمة أُخرى يعلمها الله عز وجل.

إذاً فنفي البعض للعصمة عن بعض الأنبياء في بعض المواقف قد جاء من تصورهم وقوعها بعد العصمة الكبرى له،وهذا محال،أو لتصورهم قصد النبي للمعصية!،أو لظنهم أن العصمة لا يتخللها قدرة هي المتحكمة فيها إن شاءت أمضتها،وإن شاءت لا،وهي قدرة الله.

أما علموا أن الأنبياء لا تعصي الله متعمدة قط، ولكن قد يقع منها ذلك عن طريق الخطأ قبل النبوة والرسالة كما ذكرنا، وهو نادر في

---

[78] صحيح البخاري.

حياتهم ولا يتكرر منهم مرتين أبداً، أو يقع بطريق الإنساء التشريعي، أو النسيان فى الأمور الحياتية، كي يرفع الله عنهم شبهة الألوهية.

فالأنبياء فى أيام ولايتهم ليسوا بمعصومين العصمة الكبرى، ويقع منهم الخطأ ولا يتكرر، وقد ذكرت وجوهاً منها وأعدتها كثيراً.

فالعصمة الشخصية (الحياتية) ليست ذاتية في الأنبياء عليهم السلام ولا في غيرهم بالطبع، بل هي من الله، يعطيها لكل طالب على قدر إيمانه وإخلاصه وتقواه، هذا على المستوى الشخصي كما قلنا.

وذلك لأن الأنبياء لو كانوا معصومين دون عمل وإخلاص واجتهاد منهم، لما كانوا أُسوة يقتدى الناس بهم، ولقال الناس إنهم معصومون لو كانوا مثلنا لوقعوا فيما نقع فيه، ولو أن الله عصمنا مثلهم لما وقعت منا الذنوب والمفاسد.

وهذا قولٌ فاسد كل الفساد، ومن فهم ما قلناه علم حجة الله على الجميع، ورأى عدل الله محيطاً بالجميع.

فمن رأى منهم ذلك ووصفهم بالألوهية، فالحجة عليه قائمة ولا عذر له، بعدما أزال الله كل ما يوهم الألوهية عن أنبيائه وأوليائه.

أما فيما يخص تبليغ الدعوة الإلهية والتشريع، فقد تكفل الله بعصمتهم دون طلب الاستعصام منهم، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله.

****

متى تكون عصمة الأنبياء سارية

هل من وقت ولادتهم، أم عند بلوغهم، أم من وقت تكليفهم؟

أقول- وبالله التوفيق-: أما بخصوص نبينا محمد ﷺ، فقد وردت عصمته قبل بلوغه وبعد بلوغه وعند الرسالة وإليك دليل ذلك قبل بعثته

الجسدية: ورد عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَخْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَتَى كُنْتُ نَبِيًّا؟ قَالَ: (وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ)[79].

وكونه ﷺ كان نبياً قبل بعثته الجسدية فى ذلك العالم يدل دلالة واضحة على عصمته لتلازم العصمة والنبوة.

وإليك دليل عصمته قبل بعثته وهو في سن الطفولة:

(1) عنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يَقُولُ:(مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلا مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ، **كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا**، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ، قَالَ: نَعَمْ، فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ أَدْنَى دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ سَمِعْتُ غِنَاءً، وَصَوْتَ دُفُوفٍ، وَمَزَامِيرَ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: فُلانٌ تَزَوَّجَ فُلانَةَ، لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَهَوْتُ بِذَلِكَ الْغِنَاءِ، وَبِذَلِكَ الصَّوْتِ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ، ثُمَّ فَعَلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، فَخَرَجْتُ، فَسَمِعْتُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: مِثْلُ مَا قِيلَ لِي، فَسَمِعْتُ كَمَا سَمِعْتُ، حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلا مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ لِي: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا "، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَوَاللَّهِ، مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ مِمَّا يَعْمَلُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِنُبُوَّتِهِ)[80].

(2) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:(وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ جَدِّهِ، كَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِي رَكْبٍ إِلَى الشَّامِ تَاجِرًا، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيلِ وَأَجْمَعَ السَّيْرَ صَبَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ، وَقَالَ: يَا عَمِّ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ وَلا أَبَ وَلا أُمَّ لِي، فَرَقَّ لَهُ أَبُو

[79] مسند أحمد ومستدرك الحاكم ومصنف ابن أبي شيبة ومعجم الطبراني.

[80] صحيح ابن حبان ،والحاكم في المستدرك.

طَالِبٍ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لأَخْرُجَنَّ بِهِ مَعِي، وَلا يُفَارِقُنِي وَلا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ، فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ، يُقَالُ لَهُ: بَحِيرَاءُ فِي صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ قَطُّ رَاهِبٌ يَصِيرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابٍ فِيهِ، فِيمَا يَزْعُمُونَ، يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَلَمَّا نَزَلُوا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيرَاءَ، وَكَانُوا كَثِيرًا ما يَمُرُّونَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَعْرِضُ لَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ، نَزَلُوا بِهِ قَرِيبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيرًا، وَذَلِكَ فِيمَا يَزْعُمُونَ، عَنْ شَيْءٍ رَآهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرَّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَغَمَامَةٌ بَيْضَاءُ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيبًا مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حَتَّى أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ وَشَمَّرَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَحِيرَاءُ نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامِ فَصُنِعَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوا كُلُّكُمْ، صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ، وَحُرُّكُمْ وعَبْدُكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: يَا بَحِيرَاءُ، إِنَّ لَكَ الْيَوْمَ لَشَأْنًا مَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا فِيمَا مَضَى، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيرًا فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ لَهُ بَحِيرَاءُ: صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّكُمْ ضَيْفٌ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا تَأْكُلُونَ مِنْهُ كُلُّكُمْ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَتَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ فِي رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ بَحِيرَاءُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ الَّذِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، لا يَتَخَلَّفُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِي هَذَا، فَقَالُوا لَهُ: يَا بَحِيرَاءُ، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلا غُلامٌ وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا، تَخَلَّفَ فِي رِحَالِهِمْ، قَالَ: فَلا تَفْعَلُوا، ادْعُوهُ فَلْيَحْضُرَ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ: وَاللاتِ وَالْعُزَّى، إِنْ هَذَا لَلُؤْمٌ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الطَّعَامِ مِنْ بَيْنِنَا، قَالَ: ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ، فَلَمَّا رَآهُ بَحِيرَاءُ جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ فِي صِفَتِهِ حَتَّى إِذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنَ الطَّعَامِ وَتَفَرَّقُوا، قَامَ بَحِيرَاءُ، فَقَالَ لَهُ: يَا غُلامُ، أَسْأَلُكَ بِاللاتِ وَالْعُزَّى إِلا

أَخْبِرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيرَاءُ ذَلِكَ؛ لأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا، وَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ:**لا تَسْلِنِي بِاللاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا، فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ بُغْضَهُمَا شَيْئًا قَطُّ**، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَاءُ: فَبِاللَّهِ إِلا أَخْبِرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ، فَقَالَ: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لكَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُهُ، فَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَاءَ مِنْ صِفَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: هَلْ هَذَا الْغُلامُ مِنْكَ؟ فَقَالَ:ابْنِي، فَقَالَ لَهُ بَحِيرَاءُ:مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلامِ أَنْ أَبُوهُ حَيًّا، قَالَ: فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي، قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوهُ؟ قَالَ: مَاتَ، وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: ارْجِعْ بِابْنِ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَاحْذَرْ عَلَيْهِ الْيَهُودَ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لابْنِ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلادِهِ فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ سَرِيعًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حِينَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بِالشَّامِ، فَزَعَمُوا فِيمَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ زُبَيْرًا وَثَمَّامًا وَدَرِيسًا، وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَدْ كَانُوا رَأَوْا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي ذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي كَانَ فِيهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ أَشْيَاءَ، فَأَرَادُوهُ فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بَحِيرَاءُ، وَذَكَّرَهُمُ اللَّهَ،

وَمَا يَجِدُونَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوا بِمَا أَرَادُوا لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيْهِ حَتَّى عَرَفُوا مَا قَالَ لَهُمْ وَصَدَّقُوهُ بِمَا قَالَ، فَتَرَكُوهُ وَانْصَرَفُوا، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي ذَلِكَ شِعْرًا يَذْكُرُ مَسِيرَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا أَرَادَ مِنْهُ أُولَئِكَ النَّفَرُ، وَمَا قَالَ لَهُمْ فِيهِ بَحِيرَاءُ)[81].

فنرى عصمته ﷺ فى الحديثين واضحة كوضوح الشمس فى كبد السماء الأولى قولاً والثانية فعلاً.

---

[81] دلائل النبوة للبيهقي.

أما فيما يخص الأنبياء والأولياء، فقد وردت عصمة بعضهم قبل البلوغ كيحيى وعيسى وبعد البلوغ وعند الرسالة.

قال تعالى:(يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا)[82].

وقال تعالى: (فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ)[83].

إذاً فالله تعالى أن يجعل العصمة لمن شاء منذ عالم الذر أو الولادة أو عند البلوغ أو بعد النبوة ،ولا تكون قط بعد ذلك، فهي والرسالة متلازمان .

---

[82] سورة مريم الآية 12.

[83] سورة مريم الآية الآيات من 26 : 34.

والفرق بين العصمة النبوية والعصمة الشخصية: أنهم إذا بلغوا التكليف صارت العصمة في شئونهم الشخصية على حسب تقواهم.

أما فيما يخص الرسالة: فالله عصمهم بغير استعصام منهم، وعلى هذا فهم في أمورهم الشخصية بعد سن التكليف كعامة الناس في مسالة الاستعصام والعصمة، ولا يفرقهم سوى مقدار تقواهم الذي يترتب عليه اللطف والذي يترتب عليهما العصمة بعد الاستعصام.

فالنبوة والرسالة يقتضيان العصمة الإلهية الوهبية للنبي أو الرسول .

أما العصمة الكسبية فلا تقتضي النبوة أو الرسالة للمعصوم، فلا يشترط أن يكون نبياً أو رسولاً، فقد يكون ولياً تقياً من الصالحين.

****

أسئلة حول العصمة والمعصومين

س: هل للأنبياء معاصٍ مثل الناس؟

ج: ورد في القرآن ما قد يفهم منه أن للأنبياء معاصي كقوله تعالى:(وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ)، وقد تبين فيما سبق أن ذلك كان وقت صلاحهم وولايتهم، قبل أن ينالوا النبوة، وعلى هذا فلا معصية لنبي.

س: هل للأولياء معاصٍ مثل الناس؟

ج: ورد في القرآن ماً يفهم منه أن للأولياء معاصي إلاَّ أن معاصي بعض الأولياء الذين بلغو النبوة قبل ختامها بنبينا تتميز بأمور منها: (أنها غير متعمدة، وأنها لا تتكرر منهم قط، وأن الله يغفرها لهم، ويزيدهم من فضله بعدها ما يحير الألباب، وأنها تقع منهم لتعليم الناس التوبة، وأن الله يجريها عليهم لدفع شبهة الألوهية التي ينسبها الناس للكوامل من البشر بعد انتقالهم، ومن الأولياء من تقع منه المعصية إلاَّ أنه لا يصر عليها ويتوب إلى مولاه كلٌ بحسب تقواه).

س : من هو المعصوم الذي له نصيب من العصمة؟

ج: هو العبد التقي النقي المعتصم بالله باتباع شرعه على نهج من الخشية، فيكافئه الله عز وجل بحفظه من الكبائر والذنوب، ويوفقه لدوام طاعته، والإقبال على محبته، والموت على ذلك الحال نبياً كان أو ولياً من الصالحين.

س: ما الفرق بين عصمة النبي وعصمة الولي ؟

ج: للنبي عصمتان:

الأولي:العصمة الصغرى والتى ينالها وهو ولي قبل نبوته، بحسب تقواه، فتمنعه من الزنا، والكفر، والشرك، والظلم، والأخلاق الذميمة وغير ذلك مما يسيء للصلاح، وتختلف قوتها وسعتها من ولي لآخر.

والثانية: العصمة الكبرى والتي ينالها بعد الولاية، فتمنعه من كل ما سبق علي المستوي الشخصي ومستوي تبليغ الرسالة، فلا يخطئ في حرف من الرسالة، ويبلغها كما أراد الله منه.

أما عصمة الولي: فليس له إلاَّ عصمة واحدة، وهي التي سبق تعريفها وينالها النبي قبل نبوته، وهي العصمة الصغرى (الاعتصام) ومتعلَّقها التقوى، فكلما ازداد الولي تقوىً عُصم، وإلا فلا.

وهناك حالة فريدة من نوعها تُشير إلى نوع فريد من العصمة الصغرى نذكرها استئناساً بها : ورد عنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ: "انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ"، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: الْكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا:مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ

بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ**، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ"، قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " صَدَقَ، وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا "، فَقَالَ عُمَرُ: **إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ**، فَقَالَ: " أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ "، فَقَالَ: " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**)[84].

فالعصمة الصغرى هنا لم تمنع صاحبها عن الوقوع في الخطأ، ولكنها شفعت له، فلم يسرِ عليه رضي الله عنه حكم الخيانة العظمى بلغة اليوم، والتي يستحق من يفعلها القتل كما أراد سيدنا عمر، وقد ورد عن النبي كما سبق قوله:(**فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ**)، فلم يختص الأنبياء دون المؤمنين، وكذلك ما وردمن آيات قرآنية كثيرة في هذا الشأن.

****

س: هل العصمة تكون كسبية أم وهبية ؟

ج: العصمة نوعان:

---

[84] صحيح البخاري.

كسبية وهى:(العصمة الصغرى-**الاعتصام**-) وتكون للأولياء والأنبياء.
وعصمة وهبية وهى: (العصمة الكبرى) لا تكون إلاَّ للأنبياء والمرسلين.
والاعتصام مبدؤه من العبد كسباً قولا وفعلا وإخلاصاً، ومن الله توفيقاً.
والعصمة مبدؤها وهبٌ من الله للعبد المعتصم حفظاً ولطفاً وتأييداً.

****

س: ما هى درجات العصمة؟

ج: العصمة ثلاث درجات:

عصمة صغرى، وهي: لخاصة المؤمنين وعامة الأولياء المتقين كلٌّ بحسب أعمالهم وأقوالهم وإخلاصهم وتقواهم.

وعصمة وسطى، وهي: لخاصة الأولياء وعامة الأنبياء، كلٌ بحسب أعمالهم وأقوالهم وإخلاصهم وتقواهم.

وعصمة كبرى، وهي: لخاصة الأنبياء أصحاب الكتب السماوية، ولرسول الله عامة، كلٌ بحسب أعمالهم وأقوالهم وإخلاصهم وتقواهم.

****

س: هل النسيان من النبي يقدح في عصمته الكبرى ؟

ج: نسيان الأنبياء لا يقدح في عصمتهم لثلاثة أسباب، وهي:

(1) أن نسيانهم لا يقع قط إلاَّ بعد التبليغ .

(2) أن نسيانهم أمر يجريه الله عليهم كما مر بيانه في الكتاب، وهو إنساء تشريعي، يتعلم منه الناس عملياً ما لا يتعلمونه بالأقوال.

(3) أن نسيانهم يدفع الله به عنهم شبهة الألوهية التي يلصقها الناس دوماً بالكمل من البشر.

وعلى هذا فنسيانهم إنساء، وذلك الإنساء رحمة من الله بهم، وبالناس.

****

س: ما هي درجات بلوغ الرسالة ؟

ج: هي عشر درجات:

أولها: الاتباع للسابقين من الأنبياء.

وثانيها: الصلاح والإخلاص.

وثالثها: الإصلاح.

ورابعها: التقوى والفتوة.

وخامسها: الولاية ودرجاتها.

وسادسها: التمحيص للاصطفاء.

وسابعها: النبوة التابعة (الغير تشريعية).

وثامنها: النبوة التشريعية.

وتاسعها: الرسالة.

وعاشرها: ختم النبوات، ولم تكن سوى لنبينا ﷺ.

س: ما هي مستجلبات العصمة والاعتصام ؟

ج: مستجلبات العصمة الكسبية: (الإيمان والاتباع والإخلاص)، وإجمالاً: (التقوى يصاحبها توفيق الله للعبد، ولطفه به).

وأما مستجلبات العصمة الوهبية:(فجميع ما سبق في الكسبية إلا أنه يزيد عليها اختصاص الله للعبد بالنبوة والتأييد).

وعدمها :(الرجس والنفاق والضلال)،(وإجمالاً: الكفر والبعد عن الله)

فالتوفيق واللطف: هما المستجلبان للعصمة الصغرى لا يأتيان إلا لعبد أخلص لله قدر استطاعته، فيصيرانه تقياً فهما له من الله مكافأة.

والتوفيق واللطف والتأييد والاصطفاء: هي المستجلبات للعصمة الكبرى لا يفوز بهم إلاَّ الأتقياء المستعصمون بالله، فهي لهم من الله مكافأة.
والتوفيق واللطف، والتأييد والاصطفاء، والتقوى والاعتصام، نتاج **معرفة الله ومحبته وحب الآخرة والزهد في الدنيا ودوام الإحسان.**

****

والخلاصة

أن العصمة نوعان هما:

العصمة الصغرى: وتنبع من التقوى، والتقوى تثمر الاعتصام، والاعتصام يستجلب العصمة على المستوى الشخصي للعبد، نبياً كان أو رسولاً، ولياً كان أو من الصالحين، وعلى هذا فلا يستطيع أحد أن يقول إن الأنبياء عُصموا من الذنوب، ولو عُصمنا مثلهم ما أذنبنا، وأن ما يقع من ذنوب الأنبياء إنما يكون في ولايتهم الصغرى قبل أن ينالوا

النبوة، وهي ذنوب لا تتكرر منهم أبداً، وإنما يجريها الله عليهم لحكمة قد بيناها ومنها التمحيص والتجهيز للنبوة.

وأما العصمة الكبرى: فقد تكلف الله بها لأنبيائه، ليتمكنوا من إيصال الوحي والشرع للناس كما أُنزل عليهم، ولذا فعصمة التبليغ لا تكون إلا للأنبياء والرسل، ولا شأن لها بحياة النبي الخاصة ومعاملاته.

وتبين لنا أن ما يقع من الأنبياء والرسل من نسيان أو خطأ فلأكثر من حكمة قد بيناها، ومنها التشريع الفعلي، ودفع شبهة التأله عنهم، ونرى كيف صار الأمر لما كان عيسى عليه السلام بغير خطأ بين لقومه، فما هي إلا سنوات وجعلوه إلهاً وعبدوه.

ولذا فالكمال كل الكمال في حق الأنبياء والمرسلين إنما يكون في جريان الخطأ والنسيان على الأنبياء، ومعرفة الناس به يكون بطريق التقدير الإلهي، مع العلم أن نسيانهم وخطأهم لا يؤثر بحال على التبليغ، بل يجعل الله فيه خيراً كثيراً.

ومن أدرك كل ما سبق، علم أن الخلط بين العصمة الكبرى الخاصة (بالنبوة والرسالة) المنوطة بالأنبياء والمرسلين، وبين العصمة الصغرى الخاصة (بالولاية والصلاح) المنوطة بالأولياء والصالحين، هو ما جعل بعضهم ينفيها عن الأولياء والصالحين، وهو أيضاً ما جعل بعضهم يقع في الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

وعلم أن الخلط بين المعصوم والعاصم سبحانه وتعالى، هو ما جعل بعضهم يرفع المعصوم إلى درجة العاصم عز وجل.

ومن أدرك الفرق سلم من الوقوع في الأنبياء والمرسلين، ومن رفع المعصوم إلى درجة العاصم، ومن نفى عصمة الله لعبادة الصالحين.

وأن من أدرك حقيقة العصمة الصغرى المتاحة للمتقين إلي يوم الدين، سعى في تحصيلها، وحصن نفسه من الكبائر والموبقات، ونال بها منازل القرب والمحبة من مولاه، ونال الولاية الكبرى، وصار من الذين قال الله فيهم:

(أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ).

فمن اتبع الشرع الحنيف عُصم من (البعد بعد القرب، ومن الزيغ بعد الهدي، ونجا من الشرك والبدع).

ومن اتبع القرآن الكريم عُصم من (الضلال بعد الهدى ومن العوج بعد الاستقامة ونجى من الغفلة والظلمة والدجال والدجل).

ومن اتبع الرحمة المحمدية عُصم من (القسوة والبغي، ومن الظلم والفساد والإفساد في البلاد والعباد).

وهكذا هي العصمة الصغرى متاحة لمن شاء أن يستقيم ويتقي ربه، وهي باقية إلى يوم القيامة، لا تزول كما زالت العصمة الكبرى بختم النبوة المحمدية.

هذا ما تفضل الله به علي في هذه المسألة، فما كان من حق وتوفيق فمن الله عز وجل، وبركة لطفه وتأييده وحفظه، وما كان من خطأ فمن نفسي، ومنه أستغفر ربي إنه كان غفاراً.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى أهل بيته وأصحابه، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

القرآن الكريم:

(1) صحيح البخارى.

(2) صحيح مسلم.

(3) سنن الترمذى.

(4) سنن ابن ماجه.

(5) صحيح ابن حبان.

(6) مستدرك الحاكم.

(7) سنن أبى داود.

(8) معجم الطبرانى.

(9) أسد الغابة ابن الأثير.

(10) تاريخ ابن عساكر.

(11) تاريخ دمشق.

(12) سنن النسائى.

(13) سنن البيهقى.

(14) مسند أبي يعلى.

(15) مسند البزار.

(16) مسند أحمد.

(17) فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل.

(18) حلية الأولياء لأبي نعيم.

(19) كنز العمال للمتقي الهندي.

(20) مصنف ابن أبي شيبة.

(21) صحيح ابن خزيمة.

(22) معجم الشيوخ.

(23) سير أعلام النبلاء للذهبى.

(24) دلائل النبوة للبيهقى.

(25) شعب الإيمان للبيهقى.

(26) السيرة لابن هشام.

(27) كتب تفسير القرآن الكريم.

****

الفهرس

المقدمة..... ص 5

العصمة فى اللغة..... ص 7

العصمة فى الاصطلاح..... ص9

العصمة فى القرآن..... ص 11

العصمة فى الأحاديث..... ص 14

ما يجب في حق الأنبياء والرسل (ما يجوزوما يستحيل عليهم)..... ص 16

خصوصية الأنبياء والمرسلين..... ص 19

حقيقة معاصي الأنبياء والرد عليها ..... ص 21

هل للأنبياء معاصٍ أو أخطاء... ..... ص 23

ما وقع لسيدنا موسى عليه السلام..... ص 23

ما وقع لسيدنا يونس عليه السلام..... ص 27

ما وقع لسيدنا آدم عليه السلام ..... ص 32

ما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام..... ص 37

العصمة والمعصومون ..... ص 43

هل نسيان النبي (المعصوم) يشكك في عصمته؟..... ص 45

متى تكون العصمة سارية ..... ص 52

أسئلة حول العصمة والمعصومين..... ص 58

الخلاصة..... ص 64

الفهرس ..... ص 69

مؤلفات حبيب الكل

(1) الذين رأوا رسول الله في المنام وكلموه - (طبعتان).

(2) الذين رأوا الله عز وجل في المنام وكلموه - (ثلاث طبعات).

(3) الجهر بالبسملة في ميزان الكتاب والسنّة .

(4) لسان العرفان وبيان الترجمان .

(5) الأمّة الإسلامية هي الفرقة الناجية.

(6) الانتصار لرؤية النبي يقظة بالأبصار.

(7) الخلافة قادمة ولكن لا خليفة غير المهدي ولا خلافة قبل ظهوره.

(8) داعش .. خوارج علي نهج التتار وسنّة العجم -(طبعتان).

(9) ورد الورود علي الحبيب والودود - (ثلاث طبعات).

(10) صحة صلاة المليار في رحاب قبور الأبرار.

(11) سدرة المنتهى معراج السالكين إلي رب العالمين (رسالة في السلوك إلى الله).

(12) الإيمان والإلحاد.

(13) أيها السالك إلى الله عز وجل.

(14) بهجة القلوب.

(15) العظمة المحمدية -(الجزء الأول).

(16) العظمة المحمدية -(الجزء الثاني).

(17) رؤيا الله عز وجل في المنام.

(18) أطروحات وفتوحات -(الجزء الأول).

(19) عظمة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

(20) عظمة الإمام علي رضي الله عنه.

(21) الجامع البهي لحكم الإمام علي -(أكثر من 8000 حكمة) -(جزءان).

(22) المبشرات الإلهية.

(23) الإنباء عن عصمة الأنبياء .

(24) أيها المريد الصادق.

(25) الاعتقاد في مدارج الإسلام الثلاث.

(26) حقيقة المجاذيب.

(27) ديوان المبشرات القدسية.

(28) أطروحات وفتوحات - (ج 2).

(29) أطروحات وفتوحات - (ج 3).

(30) الأربعين في تحذير السالكين (ومعه الأربعين في أجوبة السائلين)

(31) دليل السائرين إلى ربِّ العالمين .

(32) يا بنيّ

(33) السفر المعين على خدمة الصالحين.

(34) حصن المؤمن.

(35) شرح قواعد العشق الأربعون .

(36) بيان الالتباس فى حديث (امرت أن أقاتل الناس)

(37) قوانين السلوك.

كتب المؤلف حائزة على موافقة مجمع البحوث الإسلامية (الأزهر الشريف)

((((مؤلفات تحت الطبع))))

(1) كتاب أسئلة الملحدين وأجوبتها .

(2) كتاب حقيقة الشكر .

((للتواصل مع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام)) :

الشيخ : أيمن عمران :01000147132 - الشيخ السيد شحات: 01151994222

الشيخ حسين العبّادي: 01147641423 - الشيخ مصطفى عفيفي: 01144888744

الشيخ محمد حلفاوي: 01203765377

((للتواصل مع مؤسسة حبيب الكل يسعدنا اتصالكم علي هذه الأرقام))

رئيس مجلس الإدارة اللواء :عادل سليم 01006045481

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

الأستاذ أحمد عادل علام 01020915550

الشيخ السيد شحات الحنفي 01006843105

((للتواصل مع موقع صحبة الحب الإلهى أحباب حبيب الكل يسعدنا اتصالكم على هذه الأرقام))

الأستاذة دعاء عبد التواب أحمد 01011124803

الموقع الرسمي لصحبة الحُّب الإلهي أحباب حبيب الكل

((http://www.sohbtelhobelelahy.com/))

تم بحمد الله وعونه